# واجب الحماية الدولية للبيئة الطبيعية

بقلم: د/محمود السيد حسن داود(*)

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين ورحمة الله للناس أجمعين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم- وعلى آله وأصحابه والتابعين .. وبعد

فإن من مظاهر التكريم الربانى للإنسان فى هذه الحياة ، أن أوجد له البيئة الطبيعية الصالحة لحياته ، المهيأة له على أحسن وجه ، والقائمة على أدق نظام ، وذلك واضح من إصلاح الله عز وجل لها المذكور فى قوله تعالى: ﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[الأعراف:٨٥]، ومع إصلاحها يذللها الله عز وجل له تذليلا كاملا ، على النحو الذى أثبته فى كتابه ، وفى أكثر من موضع ، كقوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾[لقمان:٢٠] ، وقوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيهِ النُّشُورُ﴾ [الملك:١٥]، وقوله تعالى : ﴿... وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَينِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[إبراهيم:٣٣-٣٤]، وذلك كله ليتمكن الإنسان من أداء مهامه الأساسية التى من أجلها خلق ، وبسببها وجد، وعليها يوم القيامة سيوقف ويسأل ويحاسب ، وهى عبادة الله عز وجل ، على النحو الذى شرع ، وإقامة الحق والعدل ونشر الخير والصلاح بالكتاب الذى أنزل، وتعمير الأرض بالغرس والبناء والإصلاح والإحياء بالضوابط التى أحكم .

---

(*) أستاذ القانون الدولى العام المساعد بكلية الشريعة والقانون بدمنهور - جامعة الأزهر.

ولمكانة البيئة النظيفة فى حياة الإنسان وأهميتها بالنسبة له ، لم تكن العلاقة بينهما مجرد علاقة سطحية أو عفوية ، بل تترقى هذه العلاقة إلى أعلى درجاتها فتصبح علاقة عضوية، ليبدو الإنسان وكأنه جزء من البيئة أو أن البيئة جزء منه، وأثبت ذلك المولى عز وجل فى كتابه فيقول: ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتًا ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ (١) ، وتثمر هذه العلاقة العضوية ثمارا طيبة، لدرجة أن يتبادل الإنسان مع هذه البيئة التى تبدو صماء جامدة ، مشاعر الحب والرحمة ، والشوق والألفة ، ومن ذلك ما جاء عَنْ عَبَّاسِ بْنِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِى حُمَيْدٍ قَالَ أَقْبَلْنَا مَعَ النَّبِىِّ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ حَتَّى إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ قَالَ :« " هَذِهِ طَابَةُ وَهَذَا أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ» (٢)، وسمع وصف مكة من " أصيل " فجرى دمعه حنينا إليها ، وقال : يا أصيل : دع القلوب تقر"، ويروى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ أَنَّهُ قَالَ إِنَّ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَدِىِّ بْنِ الْحَمْرَاءِ قَالَ لَهُ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ وَاقِفٌ بِالْحَزْوَرَةِ (٣) يَقُولُ : وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَىَّ وَاللَّهِ لَوْلاَ أَنِّى أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ » (٤).

ويثبت الله عز وجل مثل هذه المشاعر لهذه البيئة الطبيعية المحيطة بالإنسان ، ومن

---

(١) نوح ، الآية رقم ١٧ ، ١٨ . والتعبير فى هاتين الآيتين عن نشأة الإنسان من الأرض بالإنبات تعبير عجيب وموح، إذ يشير إلى الوحدة بين أصول الحياة على وجه الأرض وأن نشأة الإنسان من الأرض كنشأة النبات، من عناصرها الأولية يتكون ، ومن عناصرها الأولية يتغذى وينمو فهو نبات من نباتها وهبه الله هذا اللون من الحياة كما وهب النبات ذلك اللون من الحياة ، وكلاهما من نتاج الأرض وكلاهما يرضع من هذه الأم ، وهكذا ينشئ الإيمان فى المؤمن تصورا حقيقيا حيا لعلاقته بالأرض وبالأحياء تصورا فيه دقة العلم وفيه حيوية الشعور .يراجع سيد قطب ، فى ظلال القرآن، دار الشروق ، ط السادسة عشرة ، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م ، ج٦ ، ص ٣٧١٤، ٣٧١٥

(٢) صحيح البخارى ، كتاب المغازى ، باب نزول النبى ـ صلى الله عليه وسلم الحجر ، وأيضا صحيح مسلم كتاب الحج ، باب : أحد جبل يحبنا ونحبه .

(٣) الحزورة موضع بمكة عند باب الحناطين ، وهى فى الأصل بمعنى التل الصغير ، وسميت بذلك لأنه كان هناك تل صغير ، وقيل لأن وكيع بن سلمة كان ولى أمر البيت بعد جرهم وبنى هناك صرحا ،وحصل هناك أمة يقال لها حزورة فسمى هذا الموضع بهذا الاسم .

(٤) سنن ابن ماجة ، كتاب المناسك ، باب فضل مكة ، وأيضا سنن الترمذى ، كتاب المناقب عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ باب فى إخراج النبى من مكة .

ذلك قوله تعالى : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾[الدخان:٢٩]، وفى ذلك يقول مجاهد : إن السماء والأرض يبكيان على المؤمن أربعين صباحا " ، قال أبو يحى : فعجبت من قوله ، فقال : أتعجب ، وما للأرض لا تبكى على عبد يعمرها بالركوع بالسجود، وما للسماء لا تبكى على عبد كان لتسبيحه وتكبيره فيها دوى كدوى النحل(١).

وحيث إن الإسلام دين شامل، له فى كل مجال، أحكامه العظيمة، وتعاليمه الكريمة، وضوابطه الدقيقة ، وأن مجال البيئة من أهم مجالات الإنسان، وخاصة فى هذا العصر، فإن الإسلام ينظر إلى حماية البيئة من التلوث على أنها واجب من أهم الواجبات الشرعية ، وضرورة من الضرورات البشرية ، وقد درس فقهاء الإسلام هذا الواجب ، وتركوا ثروة فقهية عظيمة من الضوابط والقواعد الشرعية التى يتم من خلالها إعمال هذا الواجب وغيره من الواجبات، وهذه الضوابط يجمعها ما يعرف بين فقهاء المدارس الإسلامية بمسمى " علم القواعد الفقهية " ، أو علم " الأشباه والنظائر "(٢).

ولعله من أهم القواعد العامة فى الفقه الإسلامى أن كل حق يقابله واجب فى الفقه الإسلامى ، لأن ميزان العدل فى الإسلام يقتضى أن يعطى المرء من الحقوق مثل ماعليه من الواجبات ، ودليل ذلك قوله تعالى " ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف " ، وإذا كان

---

(١) يراجع : الجامع لأحكام القرآن ، القرطبى ، مكتبة الغزالى ، مؤسسة مناهل العرفان ، المجلد الثامن ، ج ١٦، ص١٤٠

(٢) فى بيان مكانة علم القواعد الفقهية أو علم الأشباه والنظائر يقول الإمام جلال الدين السيوطى وهو يتحدث عن العلماء الذين أبدعوا فى هذا الفن : " ولقد نوعوا هذا الفقه فنونا وأنواعا ، وتطاولوا فى الاستنباط يدا وباعا ، وكان من أجل أنواعه معرفة نظائر الفروع وأشباهها ، وضم المفردات إلى أخواتها وأشكالها ، ولعمرى أن هذا الفن لا يدرك بالتمنى ، ولا ينال بسوف ولعل ولو أنى ، ولا يبلغه إلا من كشف عن ساعد الجد وشمر ، واعتزل أهله وشد المئزر ، وخاض البحار وخالط العجاج ولازم الترداد إلى الأبواب فى الليل الداج ، يدأب فى التكرار والمطالعة بكرة وأصيلا ، وينصب نفسه للتأليف والتحرير بياتا ومقيلا ، ليس همته إلا معضلة يحلها أو مستصعبة عزت على القاصرين فيرتقى إليها ويحلها ، يرد عليه ويرد ، وإذا عذله جاهل لا يصد ، قد ضرب مع الأقدمين بسهم ...، وحلق على الفضائل واقتنص الشوارد ، وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد ..." كتاب الأشباه والنظائر فى الفروع ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ص ٢ ، ٣ .

التمتع بالبيئة الصحية حق من حقوق الإنسان ، فإنه لا بد وأن يقابل هذا الحق واجب يقتضى ضرورة محافظة كل إنسان على هذه البيئة من التلوث ، والذى يهمنا فى هذا البحث هو بيان هذا الواجب من حيث دعائمه التى يقوم عليها، ومجالاته التى يتسع لها، ولا بد أن يسبق ذلك مفهوم البيئة وبيان أن الأصل فيها هو النظافة ، وعلى هذا فإننا سنقسم القول فى هذا البحث إلى مبحثين :

المبحث الأول : مفهوم البيئة وبيان أن الأصل فيها هو النظافة .

المبحث الثانى : حماية البيئة كواجب فى مقابل التمتع بها كحق .

والله العظيم أسأل أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه سبحانه، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا ، وأن يرزقنا علما نافعا ، وقلبا خاشعا، ورزقا واسعا، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

# المبحث الأول
# مفهوم البيئة وبيان أن الأصل فيها هو النظافة

## أولا : مفهوم البيئة

**البيئة** : كلمة يرجع جذرها اللغوى إلى مادة " بوأ "، ومنه الفعل الماضى " باء "، و"تبوأ"، و " استباء "، وهذه المادة تأتى فى اللغة بمعان متعددة ، منها :

- **الرجوع** : يقال باء بالشيئ بوءا وبواء بمعنى رجع ، وفى التنزيل العزيز فى حق بنى إسرائيل قوله تعالى: ﴿ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ﴾[البقرة:٦١] .

- **الإقرار والاعتراف والتحمل** : ويقال باء به وباء بما عليه بمعنى احتمله وأقر به واعترف ومنه قوله تعالى : " إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾[المائدة:٢٩].

- **التكافؤ والمساواة** : ومنه يقال باء فلان بفلان أى قتل به وهو كفء له، وباوأه كان دمه كفئا لدمه ، ويقال أيضا تباوأ القتيلان فى القصاص أى تعادلا .

- **النزل والإقامة والتهيئة والإعداد**: ومنه يقال بوأ فلانا منزلا ، أى أنزله فيه، وفى القرآن الكريم قوله تعالى ﴿ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾[العنكبوت:٥٨]، وبوأ المنزل له أعده ، وتبوأ المكان أى نزل به وأقام فيه ومنه قوله تعالى : " وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾[الحشر:٩]، أى الذين سكنوا وأقاموا بالمدينة من الأنصار ، ومنه قوله تعالى أيضا : ﴿ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾[يونس:٨٧]، أى اتخذا بها إقامة وسكنا .

- ومن هذه المعانى الاخيرة جاءت كلمة بيئة بمعنى المنزل وبمعنى الحال أيضا، ومنه يقال بيئة طبيعية ، وبيئة اجتماعية وبيئة اقتصادية وبيئة سياسية وغير ذلك[1] ، وفى

---

( ١) المعجم الوسيط ، مجمع البحوث الإسلامية ، باب الباء ، ص ٧٧ .

بعض اللغات الأخرى تعنى كلمة بيئة Environement مجموعة العوامل الطبيعية والثقافية التى يمكن أن تؤثر على الكائنات الحية والأنشطة الإنسانية، ويتخذ بعض الإجراءات لحماية هذه البيئة من التلوث[1] .

وحيث إن علم البيئة قد نشأ فى رحاب العلوم الطبيعية لتنميتها وبيان مدى إمكانية الانتفاع بها أولا ، ثم فى رحاب العلوم الإنسانية والفقهية والقانونية لحمايتها وتحريم الاعتداء عليها ثانيا فإن مفهوم البيئة يجب أن يرجع فيه إلى هذه العلوم ، وبناء على ذلك ففى علم البيئة الحديث تعرف البيئة بأنها : الوسط أو المجال المكانى الذى يعيش فيه الإنسان بما يضم من ظاهرات طبيعية وبشرية يتأثر بها ويؤثر فيها ، وبعبارة أخرى هى : كل ما تخبرنا به حاسة السمع والبصر والشم والتذوق واللمس سواء أكان هذا من خلق الله سبحانه وتعالى " ظاهرات طبيعية " أم من صنع الإنسان " ظاهرات بشرية".

ومع أن مصطلح البيئة قد استعمل اليوم فى كثير من العلوم ، إلا أن العلوم التى تواجه صعوبات عديدة فى تعريفها للبيئة هى العلوم القانونية أو الفقهية الإسلامية ، وترجع هذه الصعوبة إلى أن مفهوم البيئة فى ضوء هذه العلوم هو الذى سيبين مجال تطبيق القوانين الداخلية أو الدولية الخاصة بالبيئة، وبصفة خاصة تطبيق العقوبات التى تلزم من جراء تلويث البيئة أو الإضرار بها عن طريق ما يسمى بجرائم البيئة ، ولذا نلمس تباين القوانين ووجود اتجاهين كبيرين فى تعريف البيئة يتراوحان بين السعة والضيق فى بيان المفهوم القانونى لها ، ومما يمثل هذين الاتجاهين من التعريفات ما يلى :

## التعريفات الموسعة

ومنها تعريف المشرع المصرى فى القانون رقم ٤ لسنة ١٩٩٤ بشأن البيئة ، حيث ورد فى المادة الأولى منه تعريف البيئة بأنها: " المحيط الحيوى الذى يشمل الكائنات الحية وما يحتويه من مواد وما يحيط بها من هواء وماء وتربة وما يقيمه الإنسان من منشئات"[2] ، وكذلك تعريف المشرع التونسى فى المادة الثانية من القانون رقم ٩١ لسنة

(1) Le ROBERT : Dictionnaire d aujourd hui , Alain Rey , France loisirs, Paris 1993 , P.368 .

(٢) القانون المصرى رقم ٤ لسنة ١٩٩٤ بإصدار قانون فى شأن البيئة ، ط الثانية ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة ١٩٩٥ ، ص ٣ .

١٩٨٣ حيث عرف البيئة بأنها : " العالم المادى بما فيه الأرض والهواء والبحر والمياه الجوفية والسطحية والأودية والبحيرات وما يشابه ذلك ، وكذلك المساحات الطبيعية والمناظر الطبيعية والمواقع المتميزة ومختلف أصناف الحيوانات والنباتات وبصفة عامة كل ما يشمل التراث الوطنى " ، وبهذا يتضح أن هذا الاتجاه يوسع فى مفهوم البيئة لتشمل الوسط الطبيعى والوسط الصناعى أيضا (١).

## التعريفات المضيقة:

ومنها تعريف المشرع الليبى حيث عرف البيئة فى م ١ / ١ من القانون رقم ٧ لسنة ١٩٨٢ بأنها : " المحيط الذى يعيش فيه الإنسان وجميع الكائنات الحية ويشمل الماء والهواء والتربة والغذاء " ، ويتضح من هذا التعريف أنه يميل إلى حصر مفهوم البيئة فى الوسط الطبيعى فقط دون الصناعى (٢) .

ولا تخرج تعريفات فقهاء القانون بصفة عامة وفقهاء القانون الدولى بصفة خاصة عن هذه التعريفات التى تؤكد أن البيئة تشمل العنصر الطبيعى أو الأصيل من ناحية والعنصر الصناعى أو المستحدث من ناحية أخرى (٣)، لكنهم يركزون فى بيان المصطلحات على التفرقة بين مصطلح البيئة ومصطلح الطبيعة حيث لا يتطابق كل منهما مع الآخر تماما ، لأن مصطلح البيئة أوسع من مصطلح الطبيعة ، فإذا كانت الطبيعة

---

(١) وطبقا لهذا الاتجاه أيضا جاء تعريف معجم المصطلحات القانونية ، حيث يرى أن البيئة : " تعنى الوسط الطبيعى والحضرى والصناعى الذى يعيش فيه الإنسان ، والمحمى ببعض التشريعات الوطنية والدولية.
LEXIQUE de Termes Juridiques , 8e Edition DALLOZ , 1980, Raymond Guillien et Jean Vincent , sous La direction de Serge, Guincharo Gabriel Montagnier , P.216 .

(٢) فى أمثلة أخرى عديدة لتعريف البيئة يراجع : د.فرج الهريش ، جرائم تلويث البيئة دراسة مقارنة ، ط الأولى ١٩٩٨ ، ص ٣٥ وما بعدها . لم يستخدم مصطلح البيئة فى الوسط الدولى إلا لأول مرة فى مؤتمر الأمم المتحدة عن البيئة الذى انعقد فى استكهولم بالسويد فى ٥ ـ ١٦ يونيو ١٩٧٢ بدلا من مصطلح الوسط البشرى الذى استخدم فى مراحل الإعداد لهذا المؤتمر . يراجع د. صلاح عامر ، القانون الدول للبيئة ، مجلة القانون والاقتصاد ، عدد خاص ١٩٨٣ ، هامش ٦٨٢ .

(٣) د. أحمد الرشيدى ، الحماية الدولية للبيئة : الجوانب القانونية والتنظيمية ، السياسة الدولية، عدد ١١٠ ، أكتوبر ١٩٩٢ ، ص ١٣٧.

تتضمن فقط العناصر الطبيعية المحيطة بحياة الإنسان ، والتى وجدت دون تدخل منه ، فإن البيئة تشمل بالإضافة إلى هذا العنصر العناصر الأخرى الناشئة من حصيلة التدخل والتفاعل المستمر بين الإنسان والعلم والبيئة ، وهذه العناصر هى العناصر المضافة أو الناجمة عن النشاط الإنسانى كالمنشآت الحضرية وغيرها [١]

والذى يهمنا فى هذه الدراسة هى البيئة الطبيعية أو العناصر الطبيعية فى البيئة[٢]، تلك العناصر التى ينظر إليها الإسلام على أنها ملكية عامة ، وأن المحافظة عليها ضرورة من الضرورات أو واجب من الواجبات الهامة ، حتى يستمر الوجود ويتمتع بها سائر الكائنات ، ويهتم بها الإسلام اهتماما بالغا سواء فى بعدها الزمانى، الذى يشمل الزمان كله " قُلْ سِيرُوا فِى الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَىءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت:٢٠]، أو بعدها المكانى الذى يشمل الأرض كلها " وَلا تُفْسِدُوا فِى الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[الأعراف:٨٥].

ويركز القرآن الكريم تركيزا شديدا على الصورة الجمالية لهذه البيئة الطبيعية، والتى تعجز البشرية عجزا تاما عن الارتقاء إلى تنظيمها ودقتها ، وبالتالى فلا تملك إلا الإذعان

(١) يراجع فى هذه التفرقة د. محمد حسام محمود مصطفى ، الحماية القانونية للبيئة المصرية دراسة للقوانين الوضعية والاتفاقات الدولية النافذة ، القاهرة ٢٠٠١، ص ٨، وأيضا د. سعيد سعد عبد السلام ، مشكلة تعويض أضرار البيئة التكنولوجية ، دار النهضة العربية، ص١٣ .

والتميز بين البيئة والطبيعة لا يصطدم بالمفاهيم الإسلامية للبيئة ، فإذا كان الله تعالى قد خلق الطبيعة بمكوناتها المعروفة ، وكان الإنسان هو الذى صنع الجانب الحضرى للبيئة ، فهذا ما يتفق مع تعاليم فكرة خلافة الإنسان فى الأرض ، وتحميله بواجب عمارتها وتحضيرها . يراجع فى ذلك د. أحمد عبد الكريم سلامة ، قانون حماية البيئة الإسلامى مقارنا بالقوانين الوضعية ، ط الأولى ، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م ، ص ٢٩ .

(٢) تحدد البيئة الطبيعية بأنها من صنع الله عز وجل ، وتشمل كل ما بثه الله تعالى فى الكون ، وتشكل ذلك الوسط الطبيعى الذى توجد فيه الحياة ، وتسير على نهجها الفطرى ويمكنها من الاستمرار دون تدخل من جانب الإنسان، وتشمل الجبال والأودية والبحار والأنهار وأشعة الشمس والهواء ، وكذلك الكائنات الحية من إنسان وحيوان ونبات . يراجع : د. أحمد عبد الكريم سلامة ، قانون حماية البيئة الإسلامى مقارنا بالقوانين الوضعية ، ط الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م ، ص ٢٨ .

لواجب المحافظة عليها وضرورة حمايتها ، ومن ذلك قوله تعالى : " الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ [السجدة:٧]، ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾[الحجر:١٩]، وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾[ق: ٦-١١] ، وقوله تعالى : ﴿ أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾ [النازعات:٢٧-٣٣]، وقوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾[عبس:٢٤-٣١] .

وحيث إن البيئة الطبيعية وما يحيطها من غلاف جوى هى محل استخلاف الله للإنسان، فلقد أوجدها الله عز وجل على أحسن حال ، وهيأها على أكمل صورة ، ليتفرغ بعد ذلك للهدف الأول والمهمة الأساسية التى من أجلها خلق ، وهى إفراد الله عز وجل بالعبودية على النحو الذى شرع ، وبالتالى فإن البيئة نظيفة بطبيعتها ، ولا تقتضى من الإنسان إلا حمايتها أو منعها من التلوث .

## ثانيا : الأصل فى البيئة النظافة والتهيئة على أكمل وجه :

والمدقق فى حال البيئة من حولنا يستطيع أن يدرك أن الأصل فيها هو النظافة التامة والعناية الفائقة والتهيئة على أكمل وجه ، ليعيش فيها الإنسان ويتمتع بها بوصفه إنسانا فقط دون النظر إلى لونه أو لغته أو جنسه أو دينه . وذلك لأن البيئة الطبيعية لا تفرق عند

الانتفاع بها بين مؤمن وكافر ولا بين أبيض وأحمر ، كما لا يفرق التلوث أيضا بين الأجناس والألوان والأديان عند حدوثه أيضا [1].

ومما يدل على أن الأصل فى البيئة النظافة والتهيئة على أكمل وجه إيجاد الحماية الطبيعية بها، ووجود التوازن والتقدير الربانى فيها ، والتذليل والتسخير الكامل لها، وذلك على النحو التالى :

**( أ ) طبيعية الحماية :**

ذلك أن الله عز وجل لم يودع فى البيئة كل مقومات الحياة ومتطلبات الإنسان فقط، بل جعل فيها نوعا من الحماية الطبيعية عندما أحاطها بغلاف جوى هائل ، ذلك السياج المنيع أو الدروع الواقية العظيمة التى تقى الأرض إذا ما دهتها الأخطار الممثلة فى الشهب والنيازك والتى يمكن أن تنحرف قليلا عن مسارها وتضر بالكرة الأرضية ، ولعل هذه الدروع الواقية هى التى أشار إليها المولى سبحانه بقوله " وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾[الأنبياء:٣٢]، ولعل أهم ما يتضمنه الغلاف الجوى هو طبقة الأوزون الواقية التى تعمل على ترشيح وتنقية ضوء الشمس فتسمح بمرور الأشعة المفيدة وتمنع مرور الأشعة الضارة ، ولعل أهمية هذه الطبقة الواقية تتضح من القلق العالمى الرهيب الذى انتاب العالم عندما اكتشف ما عرف بمشكلة " ثقب الأوزون " [2].

---

(١) ويلخص البعض ما تتميز به البيئة الطبيعية فى هذا الخصوص ، ويرى أن البيئة الطبيعية كما خلقها الله تعالى تتميز بأمرين أساسيين هما : الأول : أن هذه البيئة مهيئة بكل ما فيها لمصلحة الإنسان ، وخدمة الإنسان ، وتوفير حاجات الإنسان ، وعلى أساس ذلك جعل تربة الأرض خصبة قابلة للزراعة والإنبات . ثم هيأ الله عز وجل أيضا الماء الذى يحيى الأرض بعد موتها ، وجعله أساس الحياة للإنسان والنبات والحيوان ، ثم سخر له مع ذلك الشمس والقمر وسائر ما فى هذه البيئة الطبيعية . الثانى : أن هذه البيئة كلها بجوانبها المختلفة يتفاعل بعضها مع بعض ، ويتكامل بعضها مع بعض ويتعاون بعضها مع بعض وفق سنن الله تعالى فى الكون . فالشمس فى السماء تعطى الأرض من ضوئها وحرارتها ما لا تقوم الحياة بدونه ، وهى تعطى هذا العطاء بلا توقف ولا من ولا أذى ، وفق نظام لا يتبدل ، وكذلك القمر يعطى نوره للأرض ، كما يؤثر فى ظاهرة المد والجزر ، وكل هذا يثبت أن البيئة الطبيعية مهياة لخدمة الإنسان على أكمل وجه . يراجع فى ذلك د. يوسف القرضاوى ، رعاية البيئة فى شريعة الإسلام ، دار الشروق ، ط الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١ م ، ص ١٢ : ١٤ .

(٢) فى بيان أهمية طبقة الأوزون يراجع : د.عبد الرحمن جيرة ، الإسلام والبيئة ، دار السلام ، ط الأولى ، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م ص ١٠٨ وما بعدها ، وحول مشكلة ثقب الأوزون يراجع أيضا محمد الفقى ، البيئة مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث ، مكتبة ابن سينا ، ص ١٦٩ وما بعدها.

**(ب) ربانية التوازن والتقدير:**

ومما يدل على أن الأصل فى البيئة النظافة أيضا، التوازن العظيم والدقة المتناهية التى أوجدها الله عز وجل فيها ، وهذا ما عبر عنه المولى بقوله : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩]، وقوله تعالى :﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾[الرعد:٨]، وقوله تعالى: ﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾[النمل:٨٨]، وقوله تعالى : ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾[الحجر:١٩].

وعلى هذا فقد أوجد الله عز وجل البيئة بمعطيات محددة ومقادير معينة بحيث تكفل هذه المقادير القدرة على توفير سبل الحياة الملائمة للبشر وباقى الكائنات التى تحيا على وجه الأرض ، ولذا فإن البيئة على حالتها الطبيعية دون تدخل من البشر تكون متوازنة على أساس أن كل عنصر من عناصر البيئة الطبيعية قد خلق بصفات محددة يكفل للبيئة توازنها، وهذا ما سمى بالتوازن البيئى [(١)] .

**(جـ) كمال التذليل والتسخير:**

ذلك أن الله تعالى لما خلق البيئة مهيأة على أكمل وجه للحياة الإنسانية بها، ذللها وسخرها للإنسان تذليلا وتسخيرا كاملا وقد ركز القرآن الكريم على بيان هذا التذليل والتسخير [(٢)] فى آيات كثيرة منها قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي

(١) التوازن البيئى يعنى بقاء عناصر ومكونات البيئة الطبيعية على حالها كما خلق الله تعالى وأى تغيير فيها يعنى اضطراب فى توازنها بحيث تصبح غير قادرة على تقديم سبل الحياة للبشر بشكل عادى . يراجع فى ذلك محمد الفقى، البيئة مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث ، مكتبة ابن سينا ، ص ٢٨ ، ٢٩ . كما يراجع : د. أحمد عبد الكريم سلامة ، قانون حماية البيئة الإسلامى مقارنا بالقوانين الوضعية ، ط الأولى ، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م ، ص ٣٣ . ولعله من عظمة التوازن ودقة التقدير ما أظهرته العلوم الحديثة من أن حجم الأرض وكتلتها وموقعها من الشمس والقمر وانتظام دورتها حول نفسها وحول الشمس وتداول الليل والنهار وتداول الفصول الأربعة وتوازن الحرارة والبرودة فيها، وتوزيع الأقوات والأرزاق بها كل ذلك موزون ومحسوب .

(٢) وتذليل البيئة أوتسخيرها للإنسان يشير إشارة دقيقة إلى حق الإنسان فى التمتع بهذه البيئة الحسنة النظيفة ، وهو حق بالمعنى الواسع ، إذ أنه يشمل إمكانية قيام الإنسان بالبحث العلمى فى خواص البيئة وأسرارها وإمكانية الانتفاع بمواردها المادية وغير ذلك ما يدخل فى كلمة الحق ، وهذا هو ما أقره فرع القانون الدولى للبيئة من حق الإنسان فى بيئة صحية مناسبة . حول هذا الحق يراجع استاذنا د. جعفر عبد السلام ، حق الإنسان فى بيئة =

السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[لقمان:٢٠] ، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾[إبراهيم:٣٢-٣٣] ، وقوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيهِ النُّشُورُ﴾[الملك:١٥] ، وقوله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[الجاثية:١٢] .

ومع أن البيئة قد خلقها الله عز وجل نظيفة مهيأة للحياة الإنسانية على أكمل وجه ، إلا أن القرآن الكريم وهو الكتاب الخالد والمعجز على مر الدهور والعصور يتنبأ بتدخل يد الإنسان فى البيئة وإفساده فيها وتلويثه لها، وذلك على الرغم من حاجته الماسة إلى نقائها ونظافتها وتوافر بعض عناصر الحماية الطبيعية لها.

## الإعجاز القرآنى فى التنبؤ بفساد البيئة :

على الرغم من البيئة أن قد خلقت نظيفة ، إلا أننا نعيش اليوم مشكلة التلوث والفساد البيئى، ولا شك أن هذه المشكلة ترجع فى جزء كبير منها إلى التقدم الصناعى والتكنولوجى ، وما استخدمه الإنسان من الأسمدة والمبيدات الكيميائية والآلات الميكانيكية والسيارات والطيارات وغير ذلك مما يبث آلاف الأطنان من الأدخنة والغازات فى الهواء أو يصب المخلفات والنفايات فى مياه الأنهار والبحار أو يدفنها فى باطن الأرض ، ولهذا فإن الاهتمام القانونى الحقيقى بقضايا البيئة لم يكن إلا فى النصف الثانى من القرن العشرين ، وخاصة بعدما دعت الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى عقد مؤتمر دولى لمناقشة الأخطار المحدقة ببيئة الإنسان ، والذى انعقد فعلا بمدينة استكهولم

= صحية مناسبة ، بحث مقدم إلى مؤتمر الاجتهاد فى قضايا الصحة والبيئة والعمران ، المنعقد فى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ـ جامعة اليرموك ، الأردن، بالتعاون مع رابطة الجامعات الإسلامية والمنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم "الإيسيسكو" فى الفترة ٣-٥ / ٦/ ٢٠٠٣

بدولة السويد فى الفترة من ٥ إلى ١٦ من يونيو عام ١٩٧٢م،[١]، حتى فى الدول الأكثر تقدما كفرنسا، فإن أول وزارة للبيئة بها لم تنشأ إلا فى عام ١٩٧٠، وكان وزير البيئة يومها يصف نفسه بأنه وزير المستحيل نظرا للصعوبات التى كانت تكتنف العامل بينه وبين الوزارات الأخرى فضلا عن الغموض الذى كان يحيط بأعمال هذه الوزارة[٢].

إلا أن الإسلام قد اكتشف هذا التدهور مبكرا منذ مجيئه، ويكفى فى بيان ذلك قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، والفساد الذى تشير إليه الآية هو الاضطراب والخلل الذى يدخل على الشىء فيغير من خواصه وطبيعته ويجعله غير صالح لأداء وظيفته التى خلق لها، وبهذا المعنى يكون الفساد شاملا لكل أنواع التعدى على البيئة بكل قطاعاتها المائية

---

(١) يراجع فى ذلك د. ضياء الدين محمد عطية، مواجهة الإسلام للتحديات المتصلة بالبيئة ٥، ص ١٨، وأيضا:
Jacqueline Morand Deviller : Le droit Francais de l environmnt , P.1 .
بحث منشور فى مجلة القانون والاقتصاد، السنة الواحدة والخمسون، ١٩٨١، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٨٣
ومما يدل على أن الوعى البيئى لم يعرف إلا حديثا ما كان يفعله الصليبيون فى العصور الوسطى، حين كانوا ينهون عن النظافة، وينظرون بعين الكراهية إلى الاغتسال، وكان القديسون يفخرون بأن الماء لم يمس أقدامهم ولم يعرفوا طهارة البيئة ونظافتها إلا بعد أن عاشروا المسلمين وعرفوا الإسلام واصطدموا بالأمة الإسلامية التى يتطهر أفرادها فى اليوم خمس مرات، فرجعوا إلى بلادهم ومعهم نور الحضارة الإسلامية، وقد امتلأت قلوبهم حسرة على ماضيهم الذين عاشوه فى قذارة ودنس. يراجع فى ذلك: د.عبد الرحمن جيرة، الإسلام والبيئة، دار السلام، ط الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م ص ١٦، ١٧. كما يراجع فى حداثة الاهتمام بقضايا البيئة بصفة عامة: د. أحمد عبد الكريم سلامة، قانون حماية البيئة الإسلامى مقارنا بالقوانين الوضعية، ط الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ص ١٠، وما بعدها، كما يراجع:
Jean Combacou et Serq Sur : Droit International Publuc , 2e Edition , Montchrestion , Paris 1995 , P.509 . )
46 ( - Jacqueline Morand Deviller : Le droit Francais de l environment , P.1
بحث منشور فى مجلة القانون والاقتصاد، السنة الواحدة والخمسون، ١٩٨١، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٨٣.

(٢) الروم آية رقم ٤١. ومما يقدمه لنا القرآن أيضا فى مجال التنبؤ بفساد البيئة قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

والجوية والبرية ، وسواء تمثل هذا الفساد فى تلويث تلك القطاعات أو فى استنزاف مواردها الطبيعية [1].

والمدقق فى الآية السابقة يشعر بأنها تشير بوضوح إلى ما تعانية البشرية بوضوح اليوم من خلل فى التوازن البيئى " ظَهَرَ الفَسَادُ فِى البَرِّ وَالبَحْرِ " ، وأن من وراء هذا الخلل يد قوية تعمل فى الخفاء ، هذه اليد هى يد الإنسان " بِمَا كَسَبَتْ أَيدِى النَّاسِ " ، ولقد ترتب على هذا الضرر إلحاق الأذى بالإنسان وسائر الكائنات التى تعيش معه " لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِى عَمِلُوا " ، وكما تنبأت هذه الآية بفساد البيئة فإنها أيضا تتنبأ بما تحاول البشرية فعله اليوم من إنقاذها وتطهيرها وتنقيتها وذلك هو قوله تعالى: " لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ".

وحيث إن الإسلام هو صاحب التنبؤ بفساد الإنسان للبيئة ، فإن العلماء المسلمين أيضا هم أول من أشاروا إلى ذلك الفساد وأول من حاولوا علاجه، وعلى رأسهم العلامة ابن خلدون حيث يقول فى مقدمته[2]: " .. ثم إن الأهوية فى الأمصار تفسد بمخالطة الأبخرة العفنة من كثرة الفضلات، والأهوية منشطة للأرواح ومقوية بنشاطها الثرة الحار الغريزى فى الهضم ثم الرياضة مفقودة لأهل الأمصار إذ هم فى الغالب وادعون ساكنون لا تأخذ منهم الرياضة شيئا ولا تؤثر فيهم أثرا ، فكان وقوع الأمراض كثيرا فى المدن والأمصار على قدر وقوعه كانت حاجتهم إلى هذه الصناعة ..... ".

---

(١) يراجع فى ظهور الفساد وبيان أسبابه والتى يجعلها البعض فى تغيير خلق الله والظلم والعلو فى الأرض واتباع الهوى وانحراف الإنسان عن الميزان الكونى والكفر بأنعم الله . . يراجع فى ذلك د. يوسف القرضاوى ، رعاية البيئة فى شريعة الإسلام ، دار الشروق ، ط الأولى ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م ، ص٢١٩ وما بعدها

(٢) يراجع : مقدمة ابن خلدون لكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ، مطبوعات مكتبة ومطبعة عبد السلام بن محمد بن شقرون ، مصر ص ٣٦٨ .

وعلى الرغم من أن موضوع البيئة وحمايتها ومنع تلوثها كان يتم التطرق إليه فى كتب الطب الموسوعية الإسلامية التى زخرت بها الحضارة الإسلامية فى عصر التقدم والنهضة ككتاب "القانون" لابن سينا ، إلا أن التراث الإسلامى زخر أيضا ببعض المؤلفات الخاصة بموضوع صحة البيئة والتى تثبت أن العلماء المسلمين كان لهم السبق فى هذا المجال ، ومن هذه المؤلفات ، كتاب : " نعت الأسباب المولدة للوباء فى مصر وطريق الحيلة فى ذلك ، وعلاج ما يتخوف منه " لابن الجزار أحمد بن إبراهيم القيروانى ، المتوفى سنة ٣٦٩هـ - ٩٨٠م ، وكتاب " مادة البقاء بإصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الوباء " لمحمد بن أحمد التميمى، وغيرها من الكتب .

يراجع فى عرض هذه الكتب وغيرها فى : المؤلفات البيئية فى تراثنا العلمى ، أ.م. لطف الله قارى، بحث منشور بمجلة : المنهل، السعودية - جدة ، العدد ٥٨٣ شوال / ذو القعدة ١٤٢٣هـ - ديسمبر ٢٠٠٢ / يناير ٢٠٠٣م ، ص ٢٣٠ : ٢٤٣ .

## المبحث الثانى
## حماية البيئة كواجب فى مقابل التمتع بها كحق

إذا كان الله عز وجل قد خلق البيئة الطبيعية نظيفة ، وهيأها لأن يعيش فيها الإنسان سعيدا وهانئا ، بل وبات من أهم حقوق الإنسان اليوم هو حقه فى التمتع بهذه البيئة النظيفة ، فإن هذا الحق لابد وأن يقابله واجب، هذا الواجب هو التزام كل من عدا صاحب الحق بألا يقف فى سبيل التمتع بهذا الحق من ناحية والتزام صاحب الحق نفسه فى أن يكون استعماله لحقه غير مضر باستعمال الآخرين لحقوقهم من ناحية أخرى ، وهذا يعنى أن الإسلام حينما يعطى الإنسان حق التمتع بالبيئة النظيفة ، فإنه يوجب على غيره ألا يحولوا دون هذا التمتع من ناحية ، وألا يكون استعمال الإنسان لهذا الحق حائلا دون تمتع الآخرين بحقوقهم من ناحية أخرى.

وهذه قاعدة عامة فى الفقه الإسلامى [1]، يستوى فيها كل الحقوق سواء أكانت من قبيل الحق العام كالحق فى التمتع بالبيئة النظيفة ، والحق فى المرافق العامة كالمستشفيات أو المدارس ، أم كان من قبيل الحق الخاص كحق الإنسان فى سيارته، أو فى مسكنه أو فى حقله أو فى مصنعه أو غير ذلك مما يملكه الإنسان ملكية خاصة [2].

---

(١) ولقد صاغ بعضهم هذه القاعدة بقوله : " ميزان العدل فى الإسلام أن يعطى المرء من الحقوق مثل ما عليه من الواجبات ، فكل حق يقابله واجب كما يقول الفقهاء، وذلك قوله تعالى : " وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ" ويجرى هذا الحكم على كل قضية من القضايا المتعلقة بالحقوق والواجبات" يراجع : د. محمد بكر إسماعيل ، القواعد الفقهية بين الأصالة والتوجيه ، دار المنار ، ط الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧ م ، ص ٣١١ : ٣١٣ .

(٢) وقد بين البعض ذلك ، بضرب أمثلة كثيرة لهذا الحق ، ومنها حق الحياة حيث يوجب على صاحب الحق نفسه ألا يتعرض للهلاك ، فيحافظ على حياته ، كما يوجب على الناس أن يحترموا هذا الحق فلا يعتدوا عليه ، وكذلك حق الحرية الذى يوجب على الدولة والأفراد معا ألا يتدخلوا فى حرية أحد، ما لم تقتض المصلحة او الضرورة ذلك ، كما يوجب على صاحب الحق ألا يستعمل حريته فيما يضر بمصالح الآخرين ، وأيضا حق الملك الذى يوجب على الناس أن يحترموا حق المالك ، فلا يعتدوا على ملكه ، بأى نوع من أنواع التعدى كالسرقة والغصب، كما يوجب على صاحب الملك ألا يستعمل ملكه فى الإضرار بالغير . يراجع فى ذلك : أ.د. محمد رأفت عثمان ، الحقوق والواجبات والعلاقات الدولية فى الإسلام، ط الثانية ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م ، ص ١٢ ، ١٣ . وحول نظرية الحق بصفة عامة يراجع : د. محمد سلام مدكور ، المدخل للفقه الإسلامى ، تاريخه ومصادره ونظرياته العامة ، دار النهضة العربية ، ط الأولى ، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩ م ، القاهرة ، ص ٤١٩ ، وما بعدها .

أما أن التمتع بالبيئة النظيفة حق من حقوق الإنسان فذلك واضح من تسخيرها وتذليلها له ، والآيات التى تشير إلى تسخير هذه البيئة الطبيعية وما فيها من عناصر للإنسان كالماء والهواء والنبات والجماد وغير ذلك من مكونات البيئة ، كثيرة ومتعددة ، ومن هذه الآيات ، قوله تعالى : " هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُمْ مَا فِى الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٩]، وقوله تعالى : ﴿الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢٢]، وقوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾[النحل:١٠]، وقوله تعالى : "﴿وَهُوَ الَّذِى سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[النحل:١٤]، وقوله تعالى : ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴾[الأنفال:١١]، وقوله تعالى : ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِى تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:١٦٤]، وقوله تعالى : ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[النحل:١١]، وقوله تعالى : " وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾[ق:١٠-١١]، وقوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلالاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ"﴾[النحل:٨١].

ورغم أن الإسلام قد رسخ بمثل هذه الآيات فكرة الحق فى التمتع ببيئة سليمة على نحو ما تقدم ، إلا أن فقه القانون الدولى العام لم يكن يعترف فى وقت قريب بهذا الحق ، حيث كان البعض ينكر هذا الحق من بين حقوق الإنسان ، وكان أهم ما يستند إليه فى تدعيم ذلك ما يلى :

ـ غموض هذا الحق وعدم وضوح مضمونه ، ومن أهم جوانب الغموض فيه أنه لم يكن يتضمن بيان المراد بـه، وهل هو يعنى حماية الإنسان نفسه بتأمـين وسط طبيعى له ، أم يعنى حماية البيئة ذاتها ، وهل يقصد منه حماية الفرد فقط ، أم حماية المجتمع ككل.

ـ أنه يؤدى إلى ضـياع بعض الحـقوق الأخرى التـقليدية ، كـالحق فى العمـل ، حيث إن الحق فى بيئة نظيفة سيفرض قيودا كثيرة على المصانع الملوثة للبيئة، وبالتالى يتهدد حق العمل بها .

ـ أن البيئة النظيـفة مجرد مصلحة لا حق ، والمصلحـة عنصر فى الحق وليست الحق ذاته ، ولا تعد حقا إلا إذا ساندها القانون ، ولم تساند كـثير من الوثائق القانونية هذا الحق كالإعلان العالمى لحقوق الإنسان ١٩٤٨م، والاتفاقية الأوربية لحقوق الإنسان ١٩٥٠م .

إلا أن التطور القانونى لحـقوق الإنسان ، أكد على وجود هذا الحق وأزال غـموضه وحدد مضمونه ، وجعله مركزا على حماية البيئة نفسها ومواردها الطبيعية، وأن المستفيد الأول والآخر منهـا هو الإنسان ، والقول بأنه يهـدم بعض الحقوق الأخرى أصـبح قولا فاسدا ، لأنه يدعمها ويقويها ، ولا يعصف بها ، كما أن القول بأن الحق فى البيئة السليمة مجرد مصلحة لا حق ، لم يعد له وجود، بعد أن نصت عليه كثير من القوانين والدساتير الوطنية ، فضلا عن الوثائق القانونية الدولية، كالإعلان الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة حول التقدم والإنماء فى الميدان الاجتماعى فى ١١ من ديسمبر ١٩٦٩ ، والميثاق الأفريقى لحقوق الإنسان الصادر فى ١٨ يونيو ١٩٨١م، والميثاق العالمى للطبيعة الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ٢٨ أكتوبر ١٩٨٢ م ، ووثيقة إعلان ريو بشأن البيئة والتنمية عام ١٩٩٢م [١] .

(١) يراجع فى ذلك د. أحمد عبد الكريم سلامة ، المبادئ والتوجيهات البيئية فى أعمال المؤتمر الدولى للسكان والتنمية ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، المجلة المصرية للقانون الدولى ، العدد الخمسون، ١٩٩٤ ، ص ١٢٢ : ١٢٥، ولسيادته أيضا د. أحمد عبد الكريم سلامة ، قانون حماية البيئة الإسلامى مقارنا بالقوانين الوضعية ، ط الأولى ، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م ، ص٦٥ ، وما بعدها .كما يراجع أيضا د. أحمد أبو الوفا ، تأملات حول الحماية الدولية للبيئة من التلوث ، مع إشارة لبعض التطورات الحديثة ، المجلة المصرية للقانون الدولى ، العدد التاسع والأربعون، ١٩٩٣ ، ص ٥٢ .

ومن أهم النصوص الواردة فى تلك الوثائق الدولية والمتضمنة هذا الحق ، المبدأ الأول من وثيقة إعلان ريو والذى تضمن " يدخل الجنس البشرى فى صميم الاهتمامات المتعلقة بالتنمية المستديمة ، وله الحق فى أن يحيا حياة =

وأما أن المحافظة على البيئة وحمايتها من التلوث واجب ، فى مقابل التمتع بها كحق ، فذلك أمر يقتضى بيان الدعائم التى يقوم عليها على الواجب ، ومجالاته ، وهذا ما بينه فيما يلى :

## أولا : دعائم واجب الحماية الدولية للبيئة :

أما أن الحماية الدولية للبيئة الطبيعية واجب، بل من أهم الواجبات فذلك يقوم على دعائم متعددة أهمها :

١ ـ أن الاعتداء على البيئة اعتداء على التراث المشترك للإنسانية : إذ أن البيئة تتضمن بعض العناصر العامة أو ذات الملكية الشائعة كالهواء والماء ، ولا يمكن لأحد أن يتملك مثل هذه العناصر ، لأنها مملوكة للجميع ، ولا يستأثر بها شعب دون شعب ، أو فرد دون فرد ، ولا تخص جيلا دون جيل ، وهذه هى فكرة التراث المشترك للإنسانية التى اهتدى إليها النظام الإسلامى منذ مجيئه ، ويشير إليها قوله تعالى فى شأن الماء : ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ﴾[القمر:٢٨]، وقوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُمْ مَا فِى الأَرْضِ جَمِيعًا﴾[البقرة:٢٩]، وما روى عَنْ رَجُلٍ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ غَزَوْتُ مَعَ النَّبِى ﷺ ثَلاثًا أَسْمَعُهُ يَقُولُ : "الْمُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ فِى ثَلاثٍ فِى الْكَلإِ وَالْمَاءِ وَالنَّارِ"(١) ، ولعله من الواضح التركيز فى هذه الإشارات القرآنية والنبوية على فكرة القسمة التى لا تكون إلا فى الأشياء المشتركة أو الشائعة ، ويؤكد ذلك قوله " قسمة " فى الآية الأولى ، وقوله " جميعا " فى الآية الثانية، وقول الرسول ﷺ " شركاء " فى الحديث.

---

= صحيحة ومنتجة بما ينسجم مع الطبيعة " ، وما ورد فى قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ٤٥ / ٩٤ لعام ١٩٩٠ أيضا " ... تقرر بان لكل فرد الحق فى أن يعيش فى بيئة تفى بمتطلبات صحته ورفاهه " ، والمبدأ الأول من المبادئ القانونية المقترحة لحماية البيئة والتنمية المستديمة التى أقرها فريق الخبراء فى قانون البيئة التابع للمؤتمر العالمى للتنمية الاقتصادية والذى تضمن " لجميع البشر الحق الأساسى فى بيئة تليق بصحتهم ورخائهم " .

(١) سنن أبى داود ، كتاب البيوع ، باب فى منع الماء ، سنن ابن ماجة ، كتاب الأحكام ، باب المسلمون شركاء فى ثلاث ، ومسند أحمد ، كتاب باقى مسند الأنصار ، باب أحايث رجال من أصحاب النبى .

وفى المقارنة بين النظام الإسلامى ونظام القانون الدولى العام ، نجد أن فكرة التراث المشترك للإنسانية فى النظام الأخير حديثة ، ولم يهتد القانون الدولى العام إليها إلا حينما نظر إلى أعالى البحار بوصفها حرة ومفتوحة أمام جميع الدول ، وتتجاوز الاختصاص الوطنى لها ، لكنها اكتسبت بعد ذلك أهمية فائقة ، وأصابت تقدما ملحوظا منذ أن أثيرت أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة فى عام ١٩٦٧ ، ثم حظيت بالعناية أيضا أمام مناقشات لجنة الاستخدامات السلمية بحثا عن نظام قانونى لحكم قيعان البحار والمحيطات فيما يجاوز حدود الولاية الوطنية وهو ما عرف بقرار التجميد رقم ٢٥٧٤، ثم حظيت هذه المسألة باهتمام بالغ مرة أخرى خلال الدورة الثامنة وما تلاها من دورات المؤتمر الثالث للأمم المتحدة ، حتى تم إرساء المبدأ العام فى م ١٣٦ من الاتفاقية الجديدة لقانون البحار ، والتى تقرر أن : " المنطقة ومواردها تراث مشترك للإنسانية "(١).

وعلى ذلك فإن النظرة الإسلامية لأهم عناصر البيئة الطبيعية على أساس أنها ملكية عامة، وتراث مشترك للإنسانية جمعاء ، لا فرق بين جماعة وأخرى ، يؤكد ويصحح ما وصل إليه القانون الدولى العام أيضا من أن التراث المشترك للإنسانية إنما يعود على البشرية قاطبة ، بما فيها الشعوب التى لم تحصل على استقلالها ، وقد بينت ذلك نص م/ ١ من اتفاقية الفضاء الخارجى ، التى تنظم استخدام الفضاء الخارجى وما فيه من قمر وأجرام سماوية والتى تم التوقيع عليها فى ٢٧ من يناير ١٩٦٧ م ودخلت دور النفاذ فى ١٠ من أكتوبر ١٩٦٧ حيث تضمنت أن " لكافة الدول حرية استكشاف واستعمال الفضاء الخارجى ، بما فى ذلك القمر والأجرام السماوية الأخرى ،دون تمييز ، وعلى قدم المساواة وفقا للقانون الدولى " وقد أكد ذلك أيضا نص م ١٤٠ من اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار والدى تضمن أن : " ١ ـ تجرى الأنشطة فى المنطقة ، كما هو منصوص

(١) د. صلاح الدين عامر ، القانون الدولى للبحار ، دراسة لأهم أحكام اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار لعام ١٩٨٢ ، دار النهضة العربية ، ط الثانية ، ٢٠٠٠م ، ص ٣٤٨ : ٣٦٠، كما يراجع : د. أحمد عبد الكريم سلامة ، قانون حماية البيئة الإسلامى مقارنا بالقوانين الوضعية، ط الأولى ، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م ، ص ٥١، وما بعدها

عليه بصورة محددة فى هذا الجزء لصالح الإنسانية جمعاء ، بصرف النظر عن الموقع الجغرافى للدول ، ساحلية كانت أو غير ساحلية ، مع إيلاء مراعاة خاصة لمصالح واحتياجات الدول النامية والشعوب التى لم تنل الاستقلال الكامل أو غيره من أوضاع الحكم الذاتى التى تعترف بها الأمم المتحدة وفقا لقرار الجمعية العامة رقم ١٥١٤ " د ١٥ "، وسائر قرارات الجمعية العامة الأخرى ذات الصلة ٢ , ـ تهيئ السلطة لتقاسم الفوائد المالية وغيرها من الفوائد الاقتصادية المستمدة من المنطقة تقاسما منصفا عن طريق آية آلية مناسبة وفقا للفقرة الفرعية " و ـ ١ " من الفقرة ٢ من المادة ١٦٠ "[1].

٢ ـ أن الاعتداء على البيئة فساد فى الأرض : فالاعتداء على البيئة سواء كانت برية أو بحرية أو جوية يعد من الإفساد المنهى عنه شرعا ، ويركز القرآن الكريم على حرمته بصفة خاصة ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[الأعراف:٧٤]، وقوله تعالى : ﴿ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٨٥]، وقوله تعالى:﴿ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[المائدة:٦٤]، وقوله تعالى : ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[القصص:٧٧] ، وحيث إن إفساد البيئة منهى عنه شرعا بمثل هذه النصوص السابقة، فيكون من الواجب المحافظة عليها وحمايتها على أحسن وجه .

٣ ـ الاعتداء على البيئة يحول دون أداء وظائفها على النحو المطلوب: وذلك لأن للبيئة

(١) يراجع د. صلاح الدين عامر ن القانون الدولى للبحار ، دراسة لأهم أحكام اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار لعام ١٩٨٢، دار النهضة العربية ، ط الثانية ، ٢٠٠٠م، ص ٣٦١ ، كما يراجع:
Nguyen quoc dinh, Patrick daillier, Alain pellet : Droit international public, 4e - Edition, LGDJ, Paris 1992 , P.1088 , .....

وظائف متعددة (١) ، لعل من أهمها أنها مجال كبير لنظر الإنسان إليها ، وتأمله فيها ، وإعمال الفكر من خلالها، وذلك هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[آل عمران:١٩٠-١٩١]، وقوله تعالى : ﴿أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية:١٧-٢١]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ﴾[يونس:١٠١] .

كما أن للبيئة وظيفة جمالية ترفيهية عظيمة أيضا ، ليتمتع الإنسان بأشكالها البديعة وألوانها الزاهية العظيمة ، وتنظيمها الرائع الدقيق ، وذلك هو قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[فاطر:٢٧-٢٨] وقوله تعالى :﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[الأعراف:٣٢]، وقوله تعالى : " أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾[ق:٦].

هذا بالإضافة إلى وظيفة البيئة الكبرى الحياتية والتى يستفيد منها الناس فى حياتهم فى ماكلهم ومشربهم وملبسهم ، وذلك قوله تعالى : " زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ

(١) حول هذه الوظائف يراجع : د. أحمد عبد الكريم سلامة ، قانون حماية البيئة الإسلامى ، مقارنا بالقوانين الوضعية ، القاهرة ١٤١٦هـ-١٩٩٦ م ، ص ٥٧ وما بعدها .

النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[آل عمران:١٤] ، وقوله تعالى : ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾[عبس:٢٤-٣٢] .

ولعل الاعتداء على البيئة بتلويثها وطمس معالمها وجمالها ، يعوق التفكير فيها ، والوصول إلى الله عن طريقها، كما يؤثر فى جمالها وصورتها، ويقلل من انتفاع الناس بها، وهذا الاعتداء منهى عنه نهيا جازما بقوله سبحانه ﴿ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾[البقرة:١٩٠].

٤ ـ الاعتداء على البيئة يحول دون تمتع الآخرين بها : وذلك لأن الاعتداء على البيئة بتلويثها ، أو باستنزاف مواردها ، أو بالإسراف والتبذير الممقوت فيها يقود إلى نوع أو حالة من الانتحار الجماعى وقتل النفس بغير حق ، وهذا كله لا شك فى تحريمه ، ويدخل فى قول الله تعالى : " أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾[المائدة:٣٢] .

وبناء على ما تقدم نستطيع أن نجزم بأن المحافظة على البيئة ومنع تلويثها واجب فى نظر الإسلام ، بالمعنى الاصطلاحى لكمة واجب ، وبمعنى آخر فإن الاعتداء عليها أو تلويثها يعد حراما بالمعنى الاصطلاحى لهذه الكلمة أيضا ، وذلك فى مقابل حق الإنسان فى التمتع بها، وهذا ما حاول أن ينتهى إليه فقه القانون الدولى الوضعى أيضا ، حيث تضمن كثير من الوثائق الدولية النص على اعتبار البيئة النظيفة حق من حقوق الإنسان كما سبق القول ، وتضمنت كثير من الوثائق الدولية أيضا اعتبار أن حماية هذه البيئة النظيفة واجب ، بل ومن أهم الواجبات ، ومن هذه الوثائق مجموعة المبادئ التى أقرها مؤتمر الأمم المتحدة حول البيئة الإنسانية باستكهولم عام ١٩٧٢ وقد تضمن المبدأ الأول: " أن الإنسان يتحمل كافة المسئولية عن حماية وتحسين البيئة من أجل الأجيال الحاضرة

والمستقبلة"، وأيضا الميثاق العالمي للطبيعة الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٨ أكتوبر ١٩٨٢ والذي نص في المادة الأولى منه على : " وعلى الإنسان واجب مقدس في حماية وتحسين البيئة للأجيال الحاضرة والمستقبل"، وكذلك مجموعة المبادئ التي تبناها مؤتمر البيئة والتنمية في ريودي جانيرو بالبرازيل عام ١٩٩٢ ، حيث تضمن المبدأ الثالث " يتوجب إعمال الحق في التنمية حتى يفي بشكل منصف بالاحتياجات الإنمائية والبيئية للأجيال الحالية والمقبلة"[١] .

والحماية الواجبة للبيئة كما هو واضح من تعريفها في المادة الأولى من القانون المصري رقم ٤ لسنة ١٩٩٤ بشأن البيئة ، هي المحافظة على مكونات البيئة والارتقاء بها ومنع تدهورها أو تلوثها أو الإقلال من حدة التلوث ، وهذا يعني أن حماية البيئة ومنع تلويثها لا يقتصر على ذلك السلوك السلبي بعدم تدخل الإنسان في شئون البيئة بالإفساد أو التلوث ، بل تقتضي الحماية أيضا سلوكا إيجابيا ، هو التدخل لتنمية هذه البيئة وتحسينها إلى أقصى حد يمكن أن يقدمه الإنسان ، ولعل هذا هو معنى الارتقاء بالبيئة .

## ثانيا : مجالات واجب الحماية الدولية للبيئة الطبيعية :

لا شك أن الدعائم السابقة توجب حماية البيئة الطبيعية وقت السلم وهو الأصل في العلاقات ، لكن لا يقتصر مجال هذا الواجب على وقت السلم فقط ، بل يمتد حتى إلى وقت النزاع المسلح ، كما لا يقتصر مجال هذا الواجب على مجرد حماية كل ما هو موجود في البيئة الطبيعية ، بل يمتد هذا الواجب إلى ضرورة تنميتها والارتقاء بها أيضا

### ١- واجب حماية البيئة يقتضي واجب تنميتها :

ويفاد هذا الواجب من تدخل اليد الإنسانية في البيئة النباتية ، والذي أشار إليه المولى سبحانه بقوله : ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾[يس:٣٤-٣٥]، وقوله تعالى أيضا " ثُمَّ

(١) أ.د. أحمد عبد الكريم سلامة ، المبادئ والتوجيهات البيئية في أعمال المؤتمر الدولي للسكان والتنمية ، القاهرة، ١٩٩٤ ، ص ١٢٦ ، وما بعدها .

جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[يونس:١٤]. هذا بالإضافة إلى الدعوة المستمرة لتعمير الأرض وتنميتها، وبصفة خاصة الثروة النباتية المذكورة فى قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[الملك:١٥]، وتنمية الثروة الحيوانية المذكورة فى قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾[طه:٥٤]، وتنمية الثروة المعدنية المذكورة فى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾الحديد:٢٥]، وقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[الأنفال:٦٠]، وبذلك تقرر هذه الآيات حقيقة أن المحافظة على البيئة تقتضى تنميتها على مختلف الأصعدة، سواء كانت زراعية أو حيوانية أو معدنية أو غير ذلك.

## ٢- واجب حماية البيئة وتنميتها يمتد إلى وقت النزاعات المسلحة:

ولا يقتصر واجب المحافظة على البيئة فى الإسلام على زمن السلم فقط، بل يمتد هذا الواجب إلى زمن النزاعات المسلحة أيضاً سواء كانت هذه النزاعات المسلحة دولية أو غير دولية.

أما زمن النزاعات الدولية المسلحة ففيها وصية أبى بكر الجامعة، والتى فيها: عَنْ مَالِك عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيد أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ بَعَثَ جُيُوشًا إِلَى الشَّامِ فَخَرَجَ يَمْشِي مَعَ يَزِيدَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ وَكَانَ أَمِيرَ رُبُعٍ مِنْ تِلْكَ الْأَرْبَاعِ فَزَعَمُوا أَنَّ يَزِيدَ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ إِمَّا أَنْ تَرْكَبَ وَإِمَّا أَنْ أَنْزِلَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ مَا أَنْتَ بِنَازِلٍ وَمَا أَنَا بِرَاكِبٍ إِنِّي أَحْتَسِبُ خُطَايَ هَذِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ إِنَّكَ سَتَجِدُ قَوْمًا زَعَمُوا أَنَّهُمْ حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ لِلَّهِ فَذَرْهُمْ وَمَا زَعَمُوا أَنَّهُمْ حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ لَهُ وَسَتَجِدُ قَوْمًا فَحَصُوا عَنْ أَوْسَاطِ رُءُوسِهِمْ مِنَ الشَّعَرِ فَاضْرِبْ مَا فَحَصُوا عَنْهُ بِالسَّيْفِ وَإِنِّي مُوصِيكَ بِعَشْرٍ لَا تَقْتُلَنَّ امْرَأَةً وَلَا صَبِيًّا وَلَا كَبِيرًا

هَرِمًا وَلا تَقْطَعَن شَجَرًا مُثْمِرًا وَلا تُخَرِّبَن عَامِرًا وَلا تَعْقِرَن شَاةً وَلا بَعِيرًا إلا لِمَأكَلَةٍ وَلا تَحْرِقَن نَحْلاً وَلا تُغَرِّقَنَّهُ وَلا تَغْلُلْ وَلا تَجْبُنْ»(١)..

ولا يتعارض أمر المحافظة على البيئة وعدم التعرض لها بالإحراق أو غيره مع قول الله تعالى فى قتال بنى النضير "مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الحشر:٥]، وذلك لأن المسلمين كانوا قد قطعوا نخل بنى النضير وأبقوا بعضه، وتحرجت صدورهم من الفعل ومن الترك، لأنهم منهيين قبل هذا الحادث وبعده عن هذا الفعل من التخريب والتحريق، فاحتاج هذا الاستثناء إلى بيان خاص، يطمئن القلوب، فنزلت هذه الآية التى تربط الفعل والترك بإذن الله، فهو الذى تولى بنفسه هذه الموقعة وأراد فيها ما أراد وأنفذ فيها ما قدره، وكان كل ما وقع من هذا بإذنه ليخزى بذلك الفاسقين، فقطع النخيل يخزيهم بالحسرة عليه وتركه يخزيهم بالحسرة على فوات الانتفاع منه، وإرادة الله هى التى كانت وراء هذا وذاك(٢).

وأما فى النزاعات المسلحة غير الدولية فعدم التعرض للبيئة بالإفساد والإتلاف فيها واجب، من باب أولى، لأن بيئة أطراف النزاع المسلح غير الدولى بيئة إسلامية والأموال فيها وكل ما يتعلق بالبيئة معصوم بعصمة الدار (٣)، ومما يدل على ذلك، أن الإسلام دعا إلى عدم القتال بين المسلمين بصفة عامة وبما يعم أتلافه بصفة خاصة حتى لا يمتد الفساد والإتلاف إلى البيئة وما تتضمنه من عناصر، ومن ذلك ما روى عن عكرمة أن

(١) موطأ مالك، كتاب الجهاد، باب النهى عن قتل النساء والصبيان فى الغزو. وفى هذا الموضوع يراجع أستاذنا أ.د/ عبد الغنى محمود "القانون الدولى الإنسانى دار النهضة العربية، ١٤١١هـ ١٩٩١م، ص ١٤٨، فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة "العلاقات الدولية فى الإسلام" دار الفكر العربى، ص ٩٩.

(٢) فى ظلال القرآن، السيد قطب، دار الشروق، ج٦، ص ٣٥٢٣، كما يراجع الجامع لأحكام القرآن، القرطبى، مؤسسة مناهج العرفان، ج١٨، ص ٦.

(٣) حول مفهوم النزعات غير الدولية يراجع رسالتنا للدكتوراة، حماية ضحايا النزعات المسلحة غير الدولية فى القانون الدولى العام للشريعة الإسلامية، رسالة مقدمة إلى كلية الشريعة والقانون بالقاهرة عام ١٩٩٩، ص ١٨ وما بعدها.

على رضى الله عنه حرق قوماً فبلغ ابن عباس فقال: "لو كنت أنا لم أحرقهم، لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «*لا تعذبوا بعذاب الله*»، ولقتلتهم كما قال النبى ﷺ: « *من بدل دينه فاقتلوه*»"(١).

وهذا الاتجاه يتفق وما يسير عليه القانون الدولى العام، إذ لا يهتم فقط بحماية البيئة وقت السلم بل يقرر أن هناك مصلحة عامة عالمية فى الحفاظ على البيئة وقت النزاع المسلح، وأن هذه المصلحة فى زمن القتال تعلو مصالح المتحاربين أنفسهم، وأن عليهم أن يأخذوا هذه المصلحة العامة فى الاعتبار حين اختيار الأساليب والوسائل التى يتقاتلون بها، وهذا ما أكدته قواعد القانون الدولى الإنسانى وخاصة إعلان سان بيترسبورج عام ١٨٦٨ وبرتوكولى ١٩٧٧ الملحقين باتفاقيات جنيف ١٩٤٩(٢).

وحيث أن حماية البيئة والمحافظة عليها واجب إسلامى يمتد حتى إلى فترات النزاع المسلح فلقد تضمنت الشريعة الإسلامية كثيراً من الضوابط والأحكام التى تعمل على تحقيق هذا الواجب، لدرجة أن معظم العلوم الإسلامية الأصيلة تشترك فى بيان ضوابط

(١) صحيح البخارى كتاب الجهاد والسير، باب لا يعذب بعذاب الله، مجلد ٢، ج٤، ص ٧٥

(٢) دكتور صلاح هاشم جمعه، حماية البيئة من آثار النزاعات المسلحة، المجلة الدولية للصليب الأحمر، عدد ٣٢، السنة السادسة، يوليو - أغسطس ١٩٩٣، ص ٢٥٤، وفى الأعمال والدراسات الحديثة المتعلقة بحماية البيئة فى فترة النزاع المسلح يراجع أيضاً انطوان بوفييه، المجلة الدولية للصليب الأحمر، عدد ٢٨، السنة الخامسة، نوفمبر - ديسمبر ١٩٩٢، ص ٤٣٤ وما بعدها، كما يراجع:

- Commentaire du protocole additionel aux Convention de Genéve de 12 août 1949. Reatif à la protection des victimes des conflits armès internationux (protocole 1) Claude Pelloud et des autres, Genève 1986 C.I.C.R., P. 679: 682.
- Alexandre Kiss: les protocoles additicnnels aux convetins de Gènve de 1977 et la protection de Biens le l'environnement, Etuds et essais - 1984 P. 181: 192.
- Djamchid MOMTAZ: Les Regles relatives a la protection de l envirenement au cours des conflits armes a l epreuve du conflit entre l Irak et le Koweit , AFDI. 1991, XXXVII, P. 203, .....
- Laurence BOISSON de CHAZOURNES: La Mise en oeuvre du droit international dans le Domaine de la protection de l envirenment : Enjeux et Defis , RGDIP, 1995, Tome IC , Paris P.37, .....

هذه الحماية والرعاية [1]، ولعله من أهم هذه العلم علم القوعد الفقهية أو علم الأشباه والنظائر ، فلقد تضمن كثيرا من القواعد والضوابط التى تعمل على تفعيل واجب الحماية الدولية للبيئة الطبيعية ، ومن هذه الضوابط ، ضابط الضرر يزال ، والأمور بمقاصدها، والمشقة تجلب التيسير واليقين لا يزول بالشك وغير ذلك من الضوابط التى اختص بها علم القواعد أو الأشباه والنظائر .

(١) إن حماية البيئة تتصل بعدد من العلوم الإسلامية ، وتكشف هذه الصلة عن أن حماية البيئة ليست مسالة دخيلة على العلوم الإسلامية ، بل هى من صميم التراث العلمى الإسلامى ، ومن هذه العلوم علم أصول الدين ، والذى يعمل على حماية البيئة من حيث كونها من مخلوقات الله سبحانه ، والتى تشترك مع الإنسان فى سجودها لله عز وجل، وتسبيحها بحمده، وعلم السلوك والتزكية والأخلاق والذى يعمل على رعاية البيئة من حيث كون هذه الرعاية تدخل فى دائرة الخلق ، ومن هذه الأخلاق مثلا خلق الإحسان ، والذى يجب أن يتوجه أيضا إلى البيئة بكل عناصرها كالإحسان بالحيوان والإحسان بالنبات والإحسان بالماء والإحسان بالهواء ، وعلوم القرآن والسنة ، وما أكثر الآيات والأحاديث المنثورة فى هذا البحث والتى تشير إلى رعاية البيئة وحمايتها ، ومن دلائل القرآن على رعاية البيئة وحمايتها تسمية عدد من السور القرآنية بأسماء بعض الحيوانات والحشرات والنباتات والظواهر الطبيعية ، كالبقرة والأنعام والفيل من الحيوانات، والنحل والنمل والعنكبوت من الحشرات ، والتين من النباتات، والحديد من المعادن ، والرعد والذاريات والنجم والفجر والشمس من الظواهر الطبيعية، وعلم أصول الفقه والذى يعمل على حماية البيئة من حيث كون حماية البيئة على اختلاف عناصرها تدخل فى مصالح العباد فى المعاش والمعاد وقد بين الأصوليون أن مقاصد الشريعة هى حفظ الدين والنفس والنسل والعقل والمال ، وعلم الفقه الإسلامى وقواعده وهو ماسنهتم به فى هذا البحث. يراجع فى ذلك كله د. يوسف القرضاوى ، رعاية البيئة فى شريعة الإسلام ، دار الشروق ط الأولى ، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م ، ص ١٩ وما بعدها .

# الخاتمة

وبعد هذه الدراسة الوجيزة عن واجب الحماية الدولية للبيئة الطبيعية فى الشريعة الإسلامية والقانون الدولى العام نستطيع أن نرصد هذه النتائج .

- أن البيئة الطبيعية قد خلقها الله مهيأة على أكمل وجه ، لخدمة الإنسان والاستمتاع بها، وذلك هو الإصلاح المشار إليه فى قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[الأعراف:٨٥].
- أن الإسلام قد رسخ فكرة الحماية الواجبة للبيئة فى مقابل التمتع بها كحق ، وذلك فى ضوء القاعدة العامة التى تشير إلى أنه يعطى للمرء من الحقوق مثل ما عليه من الواجبات ، وهو قوله تعالى : " وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ" ، أما أن التمتع بالبيئة النظيفة حق من حقوق الإنسان فذلك واضح من تسخيرها وتذليلها له ، وأما أن حمايتها واجب إسلامى ، فلأن الاعتداء عليها يمثل اعتداء على التراث المشترك للإنسانية ، ويعد فسادا فى الأرض ، ويحول دون أداء وظائفها على النحو المطلوب ، كما يحول دون تمتع الآخرين بها .
- يتفق الفقه الإسلامى مع ما حاول أن ينتهى إليه الفكر القانونى الدولى من اعتبار أن البيئة النظيفة حق من حقوق الإنسان وأن حمايتها ضرورة من الضرورات البشرية ، وتتضمن كثير من الوثائق الدولية هذه النتيجة ، ومن ذلك مجموعة المبادئ التى أقرها مؤتمر الأمم المتحدة حول البيئة الإنسانية باستكهولم عام ١٩٧٢ ، والميثاق العالمى للطبيعة الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة فى الثامن والعشرين من أكتوبر من عام ١٩٨٢ ، وكذلك مجموعة المبادئ التى تبناها مؤتمر البيئة والتنمية فى ريودى جانيرو بالبرازيل عام ١٩٩٢ .
- إن حماية البيئة الطبيعية تعنى المحافظة على مكوناتها والارتقاء بها ومنع تدهورها أو

تلوثها ، وهذا يقتضى واجب تنميتها من ناحية ، وامتدادها هذه الحماية إلى وقت النزاع المسلح من ناحية أخرى، وهذا ما اهتمت به الشريعة الإسلامية وحاول أن يصل إليه فقه القانون الدولى العام أيضا .

وإلى جانب هذه النتائج فإننا نوصى : بضرورة مراجعة التشريعات البيئة، ليكون هدفها الإنسان وتوفير الحياة البيئية الصالحة له ،وضرورة التركيز فى حماية البيئة على الناحية الوقائية التى ركز عليها الإسلام كثيرا ، وأن يكون هناك توازن بين سلامة البيئة وضرورات التنمية، وضرورة الاهتمام بالبعد البيئى فى مراحل التعليم المختلفة ، حتى يتعلم ويتدرب الإنسان على السلوكيات البيئية الشرعية الصحيحة، خاصة وأن الضوابط السلوكية الصحيحة لا تعالج فقط التلوث البيئى المادى الخاص بالماء والهواء والجماد والحيوان وغير ذلك ، بل وتعالج التلوث النفسى أيضا الذى يصيب الإنسان من جراء ارتكابه السلوكيات الخاطئة والمعاصى الكثيرة

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد فى الأولين وفى الآخرين ، وفى الملأ الأعلى إلى يوم الدين ، وعلى آله وأصحابه والتابعين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .